

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه - "إِيمَانٌ بِضْعٍ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٍ وَسَتُونَ شَعْبَةً.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الحديث التاسع في هذا الباب الذي عقده الإمام النووي رحمه الله - في بيان كثرة طرق الخير، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِيمَانٌ بِضْعٍ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٍ وَسَتُونَ شَعْبَةً...)).^(١)

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل، يصدق على قول القلب، وعلى عمل القلب، ويصدق على قول اللسان، ويصدق أيضاً على عمل اللسان، وعمل الجوارح، قول وعمل، فالاعتقاد والانقياد والإقرار والتصديق كل هذا من الإيمان، فهذا قول القلب وتصديقه وانقياده وإقراره، وكذلك يدخل فيه عمل القلب كالتوكل والخوف والرجاء والمحبة وما أشبه ذلك، ويدخل فيه قول اللسان، وهو قول لا إله إلا الله، ويدخل فيه عمل اللسان أيضاً كالذكر والتسبيح والقراءة، كما يدخل فيه سائر أعمال الجوارح كالصلوة والحج والصدقة ونحو هذا على توسيع في الإطلاق، وإلا فالصلوات هي من العبادات المالية، وبعضهم يقسم العبادات إلى مالية وبدنية.

فالأعمال منقسمة على القلب واللسان والجوارح، فهذا كله يقال له: إيمان، فالإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، فيدخل فيه قول لا إله إلا الله وهو أعلىها الذي هو مفتاح الجنة، وهو أول واجب على المكلف، وهي الكلمة التي لا يقبل من أحد عمل إلا إذا جاء بها: ((أَمْرَتْ أَنْ أَفَاقِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))^(٢) فهي مبدأ الدخول في الإسلام، وهي آخر ما يخرج به من الدنيا، ((مَنْ كَانَ آخَرَ كَلَامَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ))^(٣)، فهي مفتاح الجنة، ومفتاح السعادة، وهي أصل قبول الأعمال.

((إِيمَانٌ بِضْعٍ وَسَبْعُونَ)), الصلاة إيمان كما قال الله عز وجل -: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}** [البقرة: ١٤٣]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، لما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة سألوا عن صلاتهم في السابق، وشغب عليهم اليهود وأثاروا الشبهات وسألوا عن صلاة إخوانهم الذين ماتوا قبل تحويل القبلة حينما كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله عز وجل -: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ**

١ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، (١١/١)، رقم: (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٦٣/١)، رقم: (٣٥)، واللفظ لمسلم.

٢ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ} [التوبه: ٥، (١٤/١)]، رقم: (٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، (٥١/١)، رقم: (٢٠).

٣ - أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين (١٩٠/٣)، رقم: (٣١٦).

إِيمَانُكُمْ أي: هذه الصلاة صلاتكم إلى بيت المقدس، فالصلاحة إيمان، والذكر إيمان، والصدقة إيمان، والصيام إيمان، والوضوء إيمان، والغسل من الجنابة إيمان، ولهذا لما نكر الله -عز وجل- كفارة الظهار في سورة المجادلة قال الله -عز وجل- بعد أن نكر الخصال الثلاث عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً، قال: **{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** [المجادلة: ٤]، ما علاقة الإيمان بالله ورسوله بنكر خصال الكفار في الظهار؟.

لعل أحسن ما يقال في هذا -والله تعالى أعلم-: إن التوقف عن وطء الزوجة من قبل أن تمسوهن إيمان، والتصديق بهذا الحكم والانقياد إيمان، وإخراج الكفار إيمان، فلا يقربها حتى يكفر، **{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}**.

فإذا عرفنا هذا نعرف الأصل الكبير عند أهل السنة، وهو أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا ازدلت من طاعة الله -عز وجل- زاد إيمانك، وإذا أكثرت من المعاصي نقص من الإيمان بحسب ذلك، فأهل الإيمان يتفاوتون فيه غاية التفاوت، ينبني عليه تفاوتهم في المنزلة عند الله -عز وجل-، وتحقيق درجات العبودية، وتفاوتهم في الآخرة، قال الله تعالى: **{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [المجادلة: ١١].

يقول: ((الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة))، هذه الرواية على الشك، وفي بعض الروايات بالجمل: ((بضع وسبعون شعبة))، فمن أهل العلم من يقول: نأخذ بالمتيقن وهو رواية الجزم "بضع وسبعون"، وبعضهم يقول: المتيقن هو الأقل "بضع وستون"، وب"بضع وسبعون" محتمل، قد يكون هذا شكًا من الراوي، بل هو شك من الراوي.

وبعضهم يقول: لا، نأخذ الأعلى؛ لأن هذا ثقة قد روى هذه الرواية فنقبل ذلك، فنقول: "الإيمان بضع وسبعون شعبة".

والبعض المشهور أنه من الثلاثة إلى العشرة، ومعنى بضع وستون أو بضع وسبعون يعني قد يكون ثلاثة وستين شعبة، ثلاثة وسبعين، أربعاً وسبعين، خمساً وسبعين، ستة وسبعين إلى التسع.

ومن أهل العلم من يقول: من الواحد إلى الأربعة، ومنهم من يقول: من الاثنين فما فوق إلى العشرة، يعني ما دون العشرة، ومنهم من يقول: من الأربعة إلى التسعة، ومنهم من يقول: من الخامسة، ومنهم من يقول بغير ذلك، والمشهور أنه من الثلاثة إلى التسعة.

والشعبة هي: القطعة من الشيء، والطائفة منه والجزء، يعني: أن الإيمان أجزاء وأبعاض وأعمال متنوعة، أعلىها شهادة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على

كل شيء قدير))^(٤)، فهذه أفضل كلمة قيلت على الإطلاق، هي كلمة التوحيد، أعدل كلمة قيلت على الإطلاق
كلمة التوحيد.

قوله: ((وأدناها...)) يعني: أن أقل هذه الشعب: إماتة الأذى عن الطريق.

لماذا قال: "وأدناها إماتة الأذى من الطريق"? لماذا صارت أدناها؟ من أهل العلم من يقول: أدناها إماتة
الأذى من الطريق بمعنى: أن ذلك يتصور فيه أقل الضرر، كما سبق في الروايات التي ذكرناها من قبل في
إزالة العظم -الشوكة- من الطريق، كل هذا من الحسنات، قالوا: هذا أقل ما يتصور من العمل الذي يقوم به
الإنسان، من الضرر والأذى الذي يدفعه ويزيله.

قوله: ((والحياة شعبة من الإيمان))، الحياة خصلة حميدة تحمل صاحبها على فعل ما يزین، وتحجبه من فعل
ما لا يليق، تحمله على مكارم الأخلاق، وعلى محسن الأمور، وتصرفه عن مساوئها، هذا هو الحياة.
من أهل العلم من يقول: إن النبي ﷺ عليه وسلم -ذكره هنا لأنه وسط في شعب الإيمان، نكر
الأعلى، ونكر الأدنى، وأفعال الإيمان هي إما أشياء يفعلها الإنسان، فالحياة يدفع الإنسان إلى فعل ما يحسن
ويصرفه عما لا يجمل، قالوا: هذا في الوسط بين الأشياء التي تُقْعَلُ والأشياء التي تُترَك، يدفعه لهذا ويصرفه
عن هذا، فيكون قد نظر الأعلى، والأدنى، والوسط، هكذا قال بعض أهل العلم.

ومن العلماء من حاول أن يعدد شعب الإيمان ومنهم البيضاوي وابن حبان حتى إن الحافظ ابن حجر -رحمه
الله- قال: أحسن من ذكر عدها ابن حبان، فابن حبان أوصلها إلى تسع وسبعين شعبة، والحافظ ابن حجر
-رحمه الله- حاول أن يعددها فقسمها على القلب واللسان والجوارح، فقسمها إلى سبع، وأربع وعشرين،
وثمان وثلاثين، فأوصلها إلى تسع وستين شعبة، قال: وإذا فرقنا بين بعض الأمور التي دمجناها -هو دمج
بعض الأشياء في بعض، جعلها خصلة واحدة- فإنها تصل إلى تسع وسبعين شعبة، يكون موافقاً لابن حبان،
وكل هذا ما خرج عن قول النبي ﷺ عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة))، فحاول ابن حبان
والحافظ ابن حجر أن يتبعا ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الأعمال ومن شعب الإيمان، كل عمل أمر
الله به ورسوله ﷺ عليه وسلم -، ابتداء من قول لا إله إلا الله، فنكر الإيمان بالله، والملائكة، والكتب،
والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وذكروا أموراً أخرى من الإخلاص وما أشبه ذلك، وهكذا ما
يتعلق باللسان، صدق الحديث، والكلمة الطيبة، والذكر وقراءة القرآن وهكذا، وهكذا أعمال الجوارح كإكرام
الجار، وإكرام الضيف، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والصدقات، والصيام، والصلوة وهم جرا، هذا وأكثر
شعب الإيمان ترجع إلى أعمال الجوارح، وكل ما يمكن أن يقال عنه: إنه أمر الله به ورسوله ﷺ عليه الله
عليه وسلم - فهو داخل في شعب الإيمان، ولذلك تجدون أن من أهل العلم من جمعها في كتاب أو في رسالة،
والحافظ البيهقي -رحمه الله- شرح شعب الإيمان "الجامع لشعب الإيمان" وهو كتاب عظيم جداً، استنطاع فيه
كثيراً من الشعب زادت على السبعين، وأصل ذلك للحليمي له كتاب اسمه "المنهج في شعب الإيمان"، وهذا

^٤- أخرجه الترمذى فى سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ عليه وسلم - (٥٧٢/٥)، رقم: (٣٥٨٥)، وحسنه
الألبانى فى صحيح الجامع الصغير وزياحته (٦٢١/١).

"المنهاج" بنى عليه البيهقي سرّ حمّه الله - كتابه في الشعب، وزاد عليه زيادة عظيمة من الآثار والأخبار والأحاديث في كل باب من الأبواب، إذا أتيت نقرأ مثلاً من شعب الإيمان: الإيمان بالقرآن مثلاً يتكلّم عن كل ما يتعلّق بالقرآن بنحو حوالي مائتي صفحة على أبواب: قراءة القرآن، الأدب مع القرآن، أن القرآن كلام الله منزل يجب أن نؤمن بهذا وما إلى ذلك، إذا جاء يتكلّم مثلاً عن التوكل على الله - عز وجل - يتكلّم بكلام طويل ويورد الآثار وأقوال السلف في هذا، وأمور ترغّب في التوكل.

فالملخص أن هذه خلاصة في معنى هذا الحديث، وأسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، اللهم ارحم موتانا، واغفر مرضانا، واعف مبتلانا، واجعل آخرتنا خيراً من دنيانا، وصلي الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.